المسألة السادسة

الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، **لأم موسى:** ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [1]، **افقد كان فرعون يستطيع قتل موسى** ولايردُّه الله إلى امّ موسى [2]؟!

فإن قالوا: نعم، فقلنا: أفليس قد كان فرعون يستطيعُ انْ يخلفَ اللهَ، تبارك وتعالى، لأم موسى حتى لا يتم الله وعده، ويكون ما وعد امّ موسى باطلاً وكذباً؟..

فإن قالوا: نعم، فقد أعظموا الفرية على الله، عز وجل، ولا أراك تريدُ ان توقفَهُمْ على أعظم من هذا، ولا أراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامُهم لا يستقيمُ إلا ان يعطوك هذا؛ ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيعُ قتلَ موسى، وهو فى يديه، لأن الله وعدَ أمَّ موسى أن سردَّه إليها، فكذلك كلُّ خبر وكل وعد أخبرَ اللهُ، سبحانه [3]، به وأوعده، فلا يستطيعُ العبادُ ردَّ ذلك، وان لا يكونَ منهم غيرُ ذلك.

ردُّ أحمد، وهو يدور حول حرية الاختيار:

قالَ أحمدُ بن يحيى، صلوات الله عليهما: إنا نقولُ إنَّ **الهادى إلى الحق،** صلوات الله عليه، قد كان أجاب على هذه المسألة بما أنا ذاكرهُ، وهو هذا، فافهمه، إن شاء الله، ثم لى جوابٌ - من بعد ذلك - ستقفُ عليه، والقوةُ بالله تعالى.

جواب الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨):

قال، عليه السلام: وأما ما سألت عنه فى قول الله، سبحانه، **فى أم موسى:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [4]، فقال: **هل يستطيع فرعون ان يقتل موسى حتى** لايردُّه الله إلى أمه، ولا يجعله من المرسلين؟

---

(١)، (٤) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) بالأصل: أمه، وفوقها مكتوب (ام موسى).

(٣) فى الأصل: سبحنه.

الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية:

فقال، عليه السلام؛ إن اللهَ، عز وجل، لو أخرجَ فرعون – من أكبر المعاصى، بعد الشرك – من قتل نبيه، إخرجاً ومنعه من معصيته منعاً ، وقسره على الخروج قسراً، ولوجاز ان يُخرجَ عدوَّه من معاصيه قسراً، لكانَ قد أدخلهَ فى ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج العاصى، من معاصى رب العالمين، نكان عباده المؤمنين أولى [١] بذلك.

ولو أخرج عباده، ومنعهم من معاصيه قسراً؛ لأدخلهم فى طاعته جبراً، ولو فعل ٣٦و/ ذلك بهم؛ لأسقط معنى الأمر والنهى، ولكان / العامل دونهم، والفاعل لأفعالهم، تعالى الله عن ذلك، فلم يُطَعْ ، سبحانه، كرهاً [٢] ولم يُعص، جل جلاله، مغلوباً.

إن الله لم يُطعْ كرهاً ولم يعص مغلوباً:

ثم نقول [٣] فى ذلك بالحق، إن شاء الله، فنقول: إن الله، سبحانه، لما علم أنه إذا ألقى [٤] على **موسى**، صلى الله عليه، المحبة [٥] التى ذكر أنه ألقاها عليه، فى قوله: ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي** ﴾ [٦] احبته[٧] لذلك امرأة **فرعون**، فسألت **فرعون** تركه، عندما هَمَّ به من قتله، حين تبين له ما كان من فعله[٨]، فتركه لها وصفح عنه لحبِّ محبتها، واتباع سارِّها [٩] فكان ذلك نجاة لموسى من ما همَّ به فيه فرعونُ الكافر الملعون.

فلما انْ علمَ الله ، عز وجل [١٠]، ان ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة مرته [١١] إلى ماطلَبتْ ، من ترك قتل **موسى** [١٢] ، حكم عليه بما علم من صيور أمره، فكان ما ألقى [١٣] عليه من المحبة منه، سبحانه، لنجاته، فنجاه، سبحانه [١٤]، من فرعون، ورجَّعه [١٥] إلى أمه كى تقرَّ عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك [١٦] ، ووعدها

---

(١) فى الأصل: اولا.
(٢) فى رسالة الهادى: ولم يطع، سبحانه، والتى سنرمز لها بالحرف (هـ) مكرها.
(٣) فى هـ: بل نقول.
(٤) فى هـ: ان علم انه إذ ألقى.
(٥) فى هـ: من المحبة.
(٦) سورة طه: الآية ٣٩.
(٧) فى هـ: فلما ألقى عليه المحبة أحبته.
(٨) فى هـ: فعله فى صغره.
(٩) فى هـ: شاوها.
(١٠) فى هـ: سبحانه.
(١١) فى هـ: امراته
(١٢) فى هـ: بنى الله
(١٣) فى الأصل. القا
(١٤) فى هـ: الله.
(١٥) فى هـ: وردة
(١٦) فى هـ: فاخبر الله فى ذلك.

ما وعدها؛ لعلمه بما سيكون من مرأة **فرعون**، وطلبها فى **موسى**، وإجابة **فرعون** لها، كما أخبر عما يكون فى يوم الدين.

فهذا معنى ماذكر الله من ذلك، إن شاء الله، لا مقال [1] الفاسقون وذهبَ إليه الضالون. تم وانقضى [2] كلام **الهادى إلى الحق، صلوات الله عليه** [3].

فى الآجال:

قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما: ومن الحجة عليكم أنا نقول: **إن الله**، تبارك وتعالى، جعل الآجال التى جعلها لعباده، إلى مدَّة غير محتومة، ولا ممنوعة ولا محصورة، ممن أرادها من القائلين، ولو جعلها محتومة محصورة ممنوعة، ثم اجتمعَ جميعُ أهلِ السموات والأرض، على أن يقتلوا رجلاً واحداً، ما قدروا على ذلك، ولا نالوه أبداً؛ لأنه ليس لما منعَ الله، عز وجل، قاتل ولا خاتل.

فمن أرادَ قتلَ أحد، لم يحلْ بينه وبينه حائل، إلا بما حرَّم الله، جل وعز، فى كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [4]، يعنى نفساً بنفس مثلها قُتلت، أو بكفر أو بارتداد عن الإسلام، أو بحدٍّ من بعض الحدود الواجبة، لا غير ذلك.

مثال بمن قتل الحسين، عليه السلام، وقتل عبيد الله بن زياد:

فنقول **لعبد الله بن يزيد البغدادى**، ولمن قال بقوله أخبرونا عن قوله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [5]، وإنما خلق اللهُ، سبحانه، أفعال القائلين وأرادها وقضاها وقدَّرها، فى قولكم واعتقادكم، لا فى قولنا ولا اعتقادنا، أفرأيتم من قتل ٣٦ظ/ نفساً/ بغيرِ حقٍّ، مثل **الحسين بن على، عليه السلام** [6]، ومن قتل **عبيد**

---

(١) فى هـ: قاله.
(٢) فى الأصل: انقضا.
(٣) انظر رسالة الهادى إلى الحق؛ فى الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، جـ٢/ ٢٥١-، ٢٥٢ - من رسائل العدل والتوحيد، تحقيق د/ محمد عمارة، ط ثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر ١٩٨٤م.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٥١.
(٥) الهامش السابق.
(٦) هو الحسين بن على بن أبى طالب، ابو عبد الله السبط، ولد سنة ٤ هـ امه **فاطمة الزهراء**، وجده رسول الله ﷺ، وفى الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» خرج ملبيا لدعوة اهل **الكوفة** فلقته جموش زياد بن أبيه فى كربلاء، وقتلوه شهيداً سنة ٦١هـ.

الله بن زياد [1] ، عليه لعنة الله، طالباً له بدم الحسين بن على ، عليه السلام، أليس كلاهما إنما قتل المقتول، بما خلق الله، عز وجل، من فعله، وقدَّره وقضاه وأراده!!..

فإن قلتم: لا نقول ذلك. لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم، وبان خطؤكم [2].

وإن قلتم: نعم، كلاهما إنما الله، سبحانه، خلق فعله، وقدَّره وقضاه وأراده.

قلنا لكم: فأيها الحق وأيهما الباطل؟.. فإن قلتم: من قتلَ الحسينَ بن على ، عليه السلام، هو الحق ، كفرتم، وخرجتم من الإسلام، لقول النبى ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، : «الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما» [3].

فإن قلتم: بل نقول: قَتْلُ عبيد الله بن زياد ، عليه لعنةُ الله، هو الحق، وقتل الحسين ابن على ، عليه السلام، هو الحرام والباطل والظلم.

قلنا لكم: فقد لزمكم ، ووجب عليكم فى قولكم هذا، أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره وقضائه وإرادته باطل، وبعضُهُ حق، لأن كلا الفعلين - زعمتم - إنما هو خلق الله ، تبارك وتعالى، وقضائه وإرادته وتقديره، وقد سمعنا الله ، عز وجل، يقول فى كتابه ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [4] ، زعمتم، أنه يقضى الباطل.

فإن قلتم : إن كلا الفعلين حق. لزمكم أن قتلَ الأنبياء وأئمة الهدُى حقٌّ!!

وإن قلتم : إن كليهما باطل، لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطلٌ!.. ولامخرج لكم من هذا، والإقدام عليه هو الكفرُ.

منع الله فرعون من قتل موسى وأقدر قاتل يحيى !

وكذلك نقول لكم: خبرونا عن منع الله، عز وجل، لفرعون عن قتل موسى، عليه السلام، حتى ردّه إلى أمه كما وعدها، أليس فى قولكم: إن اللهَ حالَ بين موسى وبين فرعون قسراً وجبراً حتى لم يُقدر فرعون على [5] قتلِ موسى؟

---

(١) عبيدالله بن زياد من الشجعان، ولاه عمه على خراسان ، ثم ولاه يزيد بن معاوية على البصرة، اعترض على الحسين بن أبى طالب ، وقتلته جيوشه، وقتله ابن الأشتر ، ثاراً للحسين سنة ٦٧هـ.

(٢) فى الأصل: خطاوكم.

(٣) أخرجه الترمذى ٥/٦١٤ (٣٧٦٨)، وأحمد فى مسنده ٣/٣ ، ٦٢، ٥/٣٩١ - ٣٩٢ وغيرهما.

(٤) سورة الأنعام : الآية ٥٧.

(٥) فى الأصل: علا.

فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم: وكذلك لم يحلْ بين **يحيى بن زكريا** وبين من قتله، وكذلك من قتل جميع الأنبياء، عليهم السلام ؟!

فلابد لكم من نعم؛ لأنهم قد صح قتلهم. وشاهد ذلك قوله، عز وجل: ﴿ **وَيَقْتُلُونَ** النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [1]، فنقول لكم: أليس فى قولكم ودينكم أن الله، عز وجل، خلق فعل فرعون وقدره وقضاه وأراده، وهو الذى منع فرعون قتل من **موسى** جبراً وقسراً؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم: وكذلك خلق وأرادَ وقدر وقضى قتل **يحيى بن زكريا** عليه السلام، على قاتليه؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم فلا نجد التاركَ لموسى، ولا القاتل **ليحيى**، عليهما ٣٧و/ السلام، غير الله، عز وجل، على ماتقولون !! لأنه / يقول فى كتابه: ﴿ **وَيَقْتُلُونَ** النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، وقال فى موضع آخر: ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [2]، وزعمتم، أن أفعال العباد مخلوقة، فقد سقطت عنهم الحجة؛ لأنهم لا فعل لهم.

لم يخلق اللهُ أفعال العباد !

وإن لا [3]، فاوجدونا شيئاً نستدلُ به، ويصحُّ عندنا بعد الاستطاعة المركبة فى العباد، والجوارح السالمة، والحديد الذى قتلوا به، فلا نعرف لله، عز وجل، فى الباب الذى ادعيتم عليه خلقاً، يلزمُ به لكم حجة، غيرَ الاستطاعة المركبة فى الجوارح، والحديد الذى لا حجة على اللهِ، سبحانه، فيه، الذى قتلوا به من قتلوا.

وليس تجدون معناً [4] غير ما ذكرنا، يجبُ به أن الله خلق أفعالَهم.

وإنْ لا، فأين هذا الخلق الذى لا يرى ولا يسمع، ولا يذاق ولا يشم، ولا يلمس ولاتدركه الحواس، ولاتقاس بالناس، ولا تحيط به الأقطار، وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار، الذى لا تدركه الحواس، ولايقاس بالناس، ولا تحيط به الأقطار!

وإن لا، فاوجدونا هذا الخلق الذى ادعيتم أن اللهَ، عز وجل، خلقهُ، غيرَ الاستطاعة المركبة والجوارح السالمة، والحديدِ الذى قتلوا به الأنبياء، وائمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله، تبارك وتعالى، فى تركيبِ الاستطاعةِ فيهم، ولا خلقه

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٧، وفى الأصل: يقضى.
(٣) يعنى: وإن قلتم: لا، وسيكررها فى بداية كل دليل على الحيرة.
(٤) فى الأصل: معناً.

للحديد، حجةٌ ولا علةٌ لمعتَّلٍ؛ لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفى هذا الموضوع تبينُ فضيحتكم، وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم فى قولكم: إن الله، عز وجل، خلقَ أفعالَ العباد.

فأرونا أين هذا الخلق، الذى ذكرتم، غير ما قلنا؟!!

فلن يجدوا ذلك أبداً، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع الأسباب، وتفسير ذلك، أن الحركةَ موجودة فى بنى آدم، قبل أفعاله، **والحركة فهى فرعُ** الاستطاعةِ المركبة فى البنية؛ لأن بنى آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم هم، وليس هو فعل الله، عز وجل، وكذلك خلقَهُم اللهُ، عز وجل، قادرين على الحركة والسكون، مملكين لذلك، مأمورين منهيين، وخلق الجبالَ، وما أشبهها من الجمادات
٣٧ظ / ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة فى بنى آدم، هى قبل / أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم، فى دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لاقبله، ونحن نقول: إن الاستطاعةَ قبل الفعلِ، وهى أصلُ الحركة التى أتوا بها عليها، وهى موجودة فى بنى آدم، قبل أفعالهم [١].

مناظرة بين أبى الهذيل وحفص الفرد:

فإن قلتم: إن الحركة ليست بشئ. اجبناكم بجواب **إبى الهذيل** [٢] **لحفص الفرد**[٣]، فإنه بلغنا أن **أبا الهذيل**، وكان يقول بالعدل، تناظر هو **وحفص** الفرد فى الحركات فأبطلها حفص الفرد، وزعم أنها لا شئ، فقال له أبو الهذيل: ياحفص كم حدُّ الزانى الذى أمرَ اللهُ به؟ فقال له حفص: مائةُ جلدةٍ، قال فكم حد القاذف؟ قال: ثمانين جلدة، قال له أبو الهذيل: فأخبرنى الحركة هى يد الضارب؟ قال: لا.

قال: فهى جنب المضروب؟ قال لا. قال: فهى السوط. قال: لا. قال أبو الهذيل: ياحفص فقد أعلمتنا أن لا شئ أكثر من لاشئ بعشرين!! فانقطع **حفص الفرد**.

فكذلك ينقطع **عبدالله بن يزيد البغدادى**.

---

(١) تكملة من الهامش.

(٢) ابو الهذيل العلاف من كبار المعتزلة توفى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠م راجع لسان الميزان ٥ / ٣١٤.

(٣) **حفص الفرد** من **المجبرة**، الذين ناظروا العلماء قبلاً ،وكان **معتزلياً** ، وقال فيه **الذهبى**، مبتدع. وكفره **الشافعى** فى مناظرته، كما ناظر **أبا الهذيل العلاف**، انظر **الذهبى** ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٤

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وإنما أخبر اللهُ، عز وجل، أم موسى، صلى الله عليه، برجوع موسى إليها ، لما علم من اختيار فرعون وانه لا يقتله، وانه لا تساعده مرته على قتله.

الآجال غير محتومة :

والآجال على ما قلنا غير محتومة ، والشاهدُ على ذلك قول الله، عز وجل، يخبر عن نوح، عليه السلام وقوله لقومه : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١) ، فنقول لك : أليس ترى أنه قد أوجب لهم أن يبلغوا ذلك الأجل المسمى (٢) ، ما لم يقدموا على المعاصى، التى توجب تعجيل العذاب من الله، جل ثناؤه؟!

ألا ترى كيف يقول: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (٣) ، ألا ترى أنه لم يكن هناك تأخير إلا وثم تقديم ؟.. ألا تره مُسمًّى ، وقد هلكوا دونه بإخبار الله، عز وجل، فى كتابه؟!

وقد دعاهم، نوح عليه السلام، إلى أن يطيعوا الله، جل ثناؤه، فيؤخرهم ذلك الأجل، ألا تراهُ مسمى (٤) لم يبلغوه؟

أو لا ترى نوحاً، صلوات الله عليه ، لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتاخير أجل الموت، الذى سماهُ الله ، عز وجل، جل ثناؤه، يقول : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾(٥).

فالأجل الذى جعل الله، عز وجل، للموت المسمى، لا يطمع أحد فيه، وليس له راد، وقد قال الله، عز وجل، فى آية من كتابه يدل فيها على من سلف، ويؤدب بها من خلف، وفيها حكمه على الأولين والآخرين ، وهى قوله، عز وجل، : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝

---

(١) سورة نوح: الآية ٣ ، ٤ ، ورد فى الأصل (واعبدوا..) وهو خطأ.

(٢) فى الأصل: المسما.

(٣) سورة نوح: الآية ٤.

(٤) فى الأصل: مسمي ، وكذا كل كلمة مثلها تاتى بعد.

(٥) سورة المنافقون : الآية ١١.

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [1]، أفلا ترى أن لهم أجلاً مسماً، قد وعدوا التأخير إليه، فلم يطيعوا الرسل، ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم، ما شرط لهم من بلوغ الأجل، فأخذهم الله، عز وجل، بتعجيل العقوبة، فاحترمهم [2] دون ما سمَّى لهم لو أطاعوا، ورجعوا إلى دينه، وفى هذا كفاية، والحمد لله.

مثال آخر بتأخير العذاب عن قوم يونس:

ومن الحجة أيضاً قوله، عز وجل، ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) ﴾ [3]، أفلا ترى أن الله، عز وجل، قد كان أعلم يونس، صلوات الله عليه، أن العذاب واقع بهم، فأعلمهم يونس بذلك، فآمنوا بعد انصراف يونس عليهم، فأخر الله عنهم العذاب، بعد ما كان قد حتمه عليهم، فهذا أكبر الدليل، وأوضح شاهد، والحمد لله.

***

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٩ - ١٠، وردت بالأصل ﴿ باتهم لم ﴾ وهو خطأ.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٨.